الحرب الأهلية الاسبانية

صراع بين الطغيان والحرية

خطر الفاشستية على السلم الأوربي

بقلم باحث دبلوماسي كبير

انتهت المأساة الاسبانية إلى موقف شديد الحرج ، فمنذ أسابيع تطوق القوات الثائرة مدريد ، وتشدد عليها الحصار والضغط ، وتصلى المدافعين عنها والسالمين من أهلها ناراً تحصد الأرواح بلا رأفة ؛ ومنذ أسابيع تضطرب الجمهورية الاسبانية في يد القدر ، وتبذل جهود المستميت للدفاع عن حياتها وكيانها ؛ وقد لاح مدى لحظة حينما زحف الجيش الثائر على مدريد ، وطوقها من معظم النواحي أن مدريد ستسقط تواً ، وأن الجمهورية الاسبانية قد تلفظ أنفاسها الأخيرة في أيام قلائل ؛ ولكن الجيش الثائر لقي مقاومة شديدة لم يكن يتوقعها ؛ وتدل الأنباء الأخيرة التي وردت ونحن نكتب هذه السطور أن القوى الجمهورية التي تدافع عن مدريد قد عادت إلى الهجوم ، واستردت بعض المواقع التي تشرف على العاصمة ، وأن الأمل قد يتجدد بانقاذ مدريد وإنقاذ الحكومة الجمهورية ؛ بيد أن مصاير الحرب قد تتغير فجأة ، وقد تسقط مدريد في يد الثوار قبل أن تطلع (الرسالة) على القارئ بهذا المقال

على أنه يجب أن نلاحظ أولاً أن سقوط مدريد لا يعني ختام الحرب الأهلية الاسبانية ؛ ولا يعتبر نصراً حاسماً للثورة العسكرية ؛ ذلك أن سقوط العاصمة قد قدر منذ بعيد وبحثت الحكومة الجمهورية كل ما يترتب عليه من الاحتمالات ؛ ولن يترتب عليه من الوجهة المادية سوى كسب الثوار لمدينة جديدة ، وإن كان يعتبر من الوجهة المعنوية فوزاً له قيمته ؛ وما زالت الجمهورية مسيطرة على شرق اسبانيا كله من قطلونية حتى مالقة ، وكذلك على قسم كبير من الأقاليم الوسطى والشمالية ؛ فاذا سقطت مدريد ؛ قامت الحكومة الجمهورية في برشلونة أو في قاعدة أخرى ، واستمر النضال مضطرماً بين الفريقين

ولكن هزيمة الثوار أمام مدريد قد تكون بالعكس موقعة الفصل في هذه الحرب البربرية المخربة ؛ ذلك أن قوى الثوار ومواردهم محدودة ، وقد دفعوا إلى المعارك الأخيرة بكل قواهم ومواردهم الاحتياطية . فاذا هزموا أمام العاصمة بعد أن لاح لهم أمل الظفر ، تفككت قواهم وخبت روحهم المعنوية ، وربما اضطروا إلى الانسحاب عن جزء كبير من الأقاليم التي يحتلونها ؛ وعندئذ تتطور مصاير الحرب في صالح الجمهورية

* * *

ولقد عالجنا موضوع الحرب الأهلية الاسبانية منذ نشوبها في أواخر يوليه الماضي ، وقلنا يومئذ والحوادث في بدايتها إن هذه الحرب الأهلية الداخلية ليست إلا طورا من أطوار الصراع الأوربي العام بين الديمقراطية والفاشستية ، أو بعبارة أخرى بين النظم الحرة والطغيان العسكري ؛ وقد أيدت الحوادث رأينا وما زالت كل يوم تكشف لنا عن هذه الحقيقة بأدلة مادية لا شك فيها ؛ وإذا كان مما يدعو الى الأسف أن حكومة مدريد الشعبية قد اضطرت إزاء الظروف القاهرة أن تعتمد في نضالها على بعض العناصر غير المرغوب فيها من شيوعية وفوضوية ؛ فليس معنى ذلك أنها حكومة شيوعية كما تصورها لنا الدعاية الفاشستية ، بل هي في الواقع حكومة جمهورية شعبية من ورائها العمال والفلاحون والطبقات الوسطى أو بعبارة أخرى من ورائها الشعب الاسباني . أما الثورة التي يرفع لواءها الجنرال فرانكو وزملاؤه من القواد والضباط الخوارج فهي ثورة النظم الطاغية التي حطمتها الجمهورية في سنة ١٩٣١ ، ومن ورائها الملوكية الذاهبة والكنيسة وأحبارها وكبار الملاك وأصحاب الأموال ، والقواد والضباط الخوارج ، وهي العناصر التي كانت تتمتع بالنفوذ والسلطان في ظل الملكية الذاهبة ، وترهق الشعب الاسباني بطغيانها وامتيازاتها وجشعها ؛ فلما ظفر الشعب الاسباني بالقضاء على الملوكية في سنة ١٩٣١ لبث أنصارها من الأحبار والملاك يترقبون الفرص للانتقاض على النظام الذي قضى على نفوذهم ؛ وقامت الوزارة الجمهورية الأولى التي يرأسها السنيور أزانا ببعض الاصلاحات السياسية والاجتماعية كنزع ملكية بعض الضياع الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين ، وفصل جماعة من الضباط

الذين يشك فى ولائهم ، والحد من سلطات الكنيسة وأحبارها ، فزادت هذه الاجراءات فى غضب العناصر الرجعية ؛ وفرت رؤوس الأموال الكبيرة الى الخارج ، وزادت المطلة والبأساء وأخذت الجمهورية الجديدة تتخبط فى غمار من الصعاب السياسية والاقتصادية ؛ وجاءت بعد وزارة أزانا فى أواخر سنة ١٩٣٣ وزارة محافظة فألغت هذه الاصلاحات ، ولكنها فشلت فى معالجة الأزمة الاقتصادية ؛ وأسفرت هذه الأزمة غير بعيد عن قيام بعض الحركات الثورية الخطيرة ، ولا سيما فى منطقة الاستورياس وفى قطلونية حيث يشتد الاحتشاد الصناعى ؛ وعملت العناصر الرجعية على إذكاء الثورة ، ولكنها أخفقت وسحقت فى سيل من الدماء ؛ وقامت وزارة اشتراكية جديدة برآسة السنيور أزانا فى فبراير الماضى ، وعاد الفلاحون إلى المطالبة بنصيبهم من الأرض ، واستولوا على كثير من الضياع واضطرت الحكومة أمام الضغط العام أن تقر هذه الحركة ، واشتدت فى محاسبة الكنيسة ونزع أملاكها وفى مطاردة أحبارها وتجريدهم من كل حول ونفوذ ؛ ولكنها لم تفعل شيئا لاصلاح الجيش وتطهيره من العناصر الناقمة ، مع أن الجيش كان مصدر الخطر على الجمهورية ، ولو فعلت لتغير سير الحوادث ؛ ورأت العناصر الرجعية أن تلتف حول العناصر الناقمة فى الجيش من قادة وضباط ، وأن يتحد الجميع على مقاومة هذه الحركة الخطيرة التى ستنتهى بالقضاء عليهم وعلى أملاكهم وامتيازاتهم ، وكانوا يضمون آمالهم فى الجيش والحرس المدنى ، ويعولون على إسقاط الجمهورية بثورة عسكرية محلية ، لأن الشعب لا يحبهم ولا يمكن أن يصغى اليهم ؛ ولكن الحكومة الجمهورية كانت على شىء من التحوط والحذر ، فاضطروا أن يولوا شطرهم إلى مراكش حيث تكثر العناصر الناقمة فى الجيش ، وحيث يستطيعون الاعتماد على الجند المغاربة ، وعلى المعاونة الخارجية

* * *

هكذا اجتمعت أسباب الثورة الاسبانية التى انفجرت فى ١٧ يوليه الماضى ، وتولى قيادتها الجنرال فرانكو حاكم جزر الكنارى ، وأحد زعماء الجيش الناقمين ؛ على أن هذه الثورة لم تنشأ مستقلة ، ولم تكن داخلية محضة ، فقد كانت تعتمد منذ الساعة الأولى على المعاونة الأجنبية ، ولم يك ثمة شك فى المصدر أو المصادر التى قدمت هذه المعاونة ؛ فقد رأت الفاشستية الايطالية وهى عماد النظم العسكرية الطاغية فى أوربا الجنوبية لأسباب سياسية وعسكرية أن تشد أزر الجنرال فرانكو ، وأن تعاونه بكل الوسائل ؛ ورأت ألمانيا النازية من جانبها أن تشترك فى هذه المعاونة لأسباب وبواعث مشابهة ، ذلك أن قيام حكومة عسكرية رجعية فى مدريد تقوم على وسائل الطغيان والعنف التى تقوم عليها الفاشستية الايطالية والنازية الألمانية ، مما يقوى هذه النظم من الوجهة المعنوية ، ومما يضعف جبهة الديموقراطية الأوربية التى تقف فى وجه الفاشستية والنازية ؛ وحصن الديموقراطية الأوربية انكلترا خصيمة إيطاليا منذ الحرب الحبشية ، وفرنسا خصيمة ألمانيا التاريخية ؛ وإيطاليا ترى فى قيام حكومة فاشستية فى أسبانيا تقع تحت نفوذها وتأثيرها وسيلة لتقوية نفوذها فى غرب البحر الأبيض وتهديد مركز إنكلترا فى هذه المياه ؛ ولذلك لم تدخر إيطاليا وألمانيا وسعاً فى إمداد الثورة الأسبانية بالسلاح والذخائر والرجال ؛ ولم يبق سراً أن أسطول الثوار الجوى كله يتكون من طيارات إيطالية وألمانية ، وأن ضباطه جميعاً من الايطاليين والألمانيين ؛ وأن إيطاليا قد اتخذت من جزيرة ميورقة مركزاً لامداد الثورة الأسبانية وتموينها ، وأن الامدادات الألمانية تصل إلى الثوار من الشمال ، ومن الغرب بواسطة البرتغال التى تعمل أيضاً فى معاونة الثورة وإمدادها تحقيقاً لأطماع ومصالح خاصة ؛ وقد ترددت فوق ذلك إشاعة قوية بأن هنالك اتفاقاً سرياً بين الثوار وبين إيطاليا وألمانيا والبرتغال ، يقضى بأن تأخذ إيطاليا جزر البليار ثمناً لمعاونتها ، وتأخذ ألمانيا جزر الكنارى ، وتأخذ البرتغال بعض الأراضى المجاورة لحدودها الشرقية ؛ وهو اتفاق لا يبعد صدوره من زعماء عسكريين يعملون بمال الأجنبى وسلاحه لسحق الحريات الشعبية فى بلادهم وإراقة دماء مواطنيهم على هذا النحو الذريع الذى تطالعنا به الأنباء كل يوم ؛ وهذا الاحتمال مما يثير اليوم فى فرنسا وانكلترا أشد الجزع ، لأن جزائر البليار على مقربة من المياه الفرنسية وهى واقعة فى طريق الجزائر ، ولأن حلول إيطاليا بها يعرض سيادة انكلترا فى غرب البحر الأبيض

ومواصلاتها الامبراطورية من طريق جبل طارق إلى أشد الأخطار

على أن تدخل الدول الفاشستية فى الحوادث الأسبانية على هذا النحو كان له رد فعل مماثل ؛ فقد رأت روسيا السوفيتية من جانبها أن تقاوم نفوذ الفاشستية فى أسبانيا بمعاونة الحكومة الجمهورية ، وقد قابلت المثل بارسال السلاح والذخائر والطائرات إلى حكومة مدريد ، وقد ظهر أثر هذه المعاونة أخيراً بثبات الجنود الجمهوريين وانقلابهم إلى الهجوم فى كثير من المواقع حول مدريد ؛ ولهذا التدخل الثنائى فى الحوادث الأسبانية قصة دولية مضحكة ، فقد اقترحت فرنسا فى بدء نشوب الحرب الأهلية الأسبانية على الدول أن تتبع إزاءها سياسة الحياد المطلق ، ووافقت على هذا الرأى انكلترا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والبرتغال ، وأنشئت لجنة عدم التدخل لتراقب تنفيذ هذه السياسة المشتركة ولكن الدول الفاشستية كانت تعبث منذ الساعة الأولى بمبدأ الحياد ، وكانت روسيا تقابلها بالمثل ، وقد اشتركت فرنسا أيضاً فى معاونة حكومة مدريد ولكن بشكل مستتر ؛ فلما ظهر أن الدولة الفاشستية تتمادى فى معاونة الثورة ، رفعت روسيا القناع أيضاً وأنذرت أنها تستأنف كل حريتها فى العمل إذا لم تقم الدول الأخرى ، أعنى ألمانيا وإيطاليا ، بالكف عن مساعدة الثوار ؛ والآن تبدو مساعدة روسيا لحكومة مدريد بشكل واضح وتتقاطر السفن الروسية من البحر الأسود إلى مياه برشلونة وبلنسية واليقنت مشحونة بالذخائر والمؤن ، وقد يتطور الموقف إلى أشد من ذلك ، وقد يفضى هذا التدخل المزدوج غير بعيد إلى مصادمات وحوادث لا تؤمن عواقبها على السلام الأوربى

لقد غدت الفاشستية مصدر الخطر على سلام أوربا ، وكانت البلشفية قبل عامين مصدر هذا الخطر العام ، ولكن روسيا السوفيتية رأت فى النهاية أنها لا تستطيع أن تبقى فى عزلتها الخطرة خصوصاً بعد أن استعادت ألمانيا جيشها وتسليحاتها فى ظل الفاشستية الهتلرية ، فانضمت إلى جبهة الدول الغربية ، وعقدت مع فرنسا الميثاق الشهير الذى اتخذته ألمانيا ذريعة لنقض جميع تعهداتها العسكرية فى معاهدة الصلح ؛ وقد حل الخطر الفاشستى الآن فى تهديد سلام أوربا محل الخطر البلشفى ؛ وقوام هذا الخطر مطامع ألمانيا وإيطاليا العسكرية والاستعمارية ؛ وقد رأت روسيا أن قيام دولة فاشستية جديدة فى أسبانيا مما يقوى جبهة الدول الفاشستية ضدها ، فرأت أن تخوض المعركة فى أسبانيا ضد التدخل الفاشستى ، وأن تعاون حكومة مدريد ما استطاعت لأن فى فوزها فوزاً للجبهة الديموقراطية التى اندمجت فيها روسيا

فالمعركة التى تضطرم الآن فى أسبانيا هى معركة مبادئ تذكيها المصالح والمطامع السياسية والعسكرية ؛ وهى مظهر حى لتلك المعركة العامة التى تضطرم فى أوربا بين الجبهتين الخصيمتين ؛ ومن الخطر على سلام أوربا وعلى حريات الأمم الضعيفة أن تنتصر هذه الثورة الفاشستية ؛ وربما كان انتصارها نذير حرب أوربية إذا لم تنجح أوربا فى حصر هذه الشعلة المضطرمة داخل أسبانيا ؛ بيد أن المعركة ستستمر حيناً آخر ، وقد تتغير مصاير الحرب بين آونة وأخرى ، فتحرز الجمهورية الأسبانية نصرها الحاسم ، وتتحطم مشاريع الدول الفاشستية ، وينجو السلام الأوربى مما يتهدده من الأخطار

(...)

لجنة التأليف والترجمة والنشر

صبح الإسلام

الجزء الثالث

للأستاذ

أحمد أمين

يبحث فى عقائد الفرق الدينية فى العصر العباسى الأول من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ، كما يبحث فى التاريخ السياسى لكل فرقة وفى أدبها

يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد . وسيظهر يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٦

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة